سلسلة التوحيد أولاً (٢)



تأليف

إسلام محمود دربالة



لماذا التوحيد؟

تأليف

إسلام محمود دربالة

الناشر

دار الآفاق

لماذا التوحيد ؟

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

رقم الإيداع: ٢٠٩٨٢ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولي: ٦-٣١-٦١٥٥-٩٧٧

الصف والإخراج الفني: مصطفى محمد سعيد

دار الآفاق
للنشر والتوزيع
القاهرة - مدينة نصر
www.afaak.net
info@afaak.net

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة «التوحيد أولًا» لا غنى للمسلم الذي يريد نصرة دينه ويبتغي وجه الله والدار الآخرة عنه إذا هو يوضح ويبين «لماذا يجب علينا أن نهتم بالتوحيد»

وقد اسميته اختصارًا وتقريبًا وتطريفًا «لماذا التوحيد؟» وضحت فيه مكانة التوحيد في الكتاب والسنة، وفي شرائع أنبياء الله ومعتقدهم، وبينت اهتمام نبينا ﷺ وصحابته الكرام بالدعوة إلى التوحيد، كل هذا يدعونا إلى أن نهتم بالتوحيد.

ثم بينت طرفًا من جهل الكثير من أبناء أمتنا بالتوحيد ومقتضياته ولوازمه، مما ترتب عليه انتشار الكثير من الاعتقادات والأقوال والأفعال المضادة للتوحيد، والمخالفة للوحدانية، كل هذا الوهن الذي أصاب الأمة، ترتب عليه اجتراء أهل الباطل والزيف ونتج عنه اجتهادهم في نشر باطلهم واستئسادهم على عقيدة التوحيد وأهله، وما مثلهم إلا كما قيل: «كالقط يحكي انتفاخًا صولة الأسد» فمهما انتشر الباطل، ومهما وضعوا من نظريات فاسدة،

ونشروا عقائد كاسدة، وأنشأوا مجامع وجمعيات ومنظمات بائرة ومهما زينوا باطلهم، ومهما حسنوا خزعبلاتهم فكل ذلك ولا شك مصيره إلى زوالٍ وبوار وتلاشي؛ لأن التوحيد يستمد قوته من الحق ﷻ فهو أمره، وهو دعوة رسله، وهو عقيدة أمة التوحيد.

ولا شك أنه الحق فالحق ناصع أبلج والباطل كاسدٌ لجلج.

والله ﷻ ناصرٌ دينه وشرعه لا محالة، وإن الله لن يضيعنا إن نحن امتثلنا أمره، وحققنا العبودية وأخلصنا الطاعة، وتبرأنا من الشرك وأهله ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾.

وتأمل بعد كل هذا اجتهاد أهل الباطل في باطلهم وتخاذل أهل الحق وتخششهم بالرغم من أنهم على الحق ويدعون إلى توحيد مالك الملك.

وختامًا: إنه التوحيد ليكن هو دعوتنا ظاهرًا وباطنًا، أولًا وآخرًا بكرة وعشيا، في كل نادٍ ومحفل للكبير وللصغير، للجليل وللبسيط، للرجال والنساء، للشباب والصبيان، للخاص والعام، للعالم والعامي؛ حتى يتحقق وعد الله بالنصر والتمكين، وإلا فسنبقى نتجرع كأس الذل والهوان أزمنة متطاوله.

وأختم بوصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «ليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله»(١) وأبشرك ببشارة النبي الخاتم صلوات ربي وسلامه عليه: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»(٢).

كتبه
إسلام محمود دربالة
فجر الجمعة ٢٨ رمضان ١٤٣٠هـ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل».

وقال أيضًا: «العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة و الظاهرة».

وقال ابن كثير: العبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وغير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[1].

وقال السعدي «هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه،

(١) انظر «تيسير العزيز الحميد»: (٤٦، ٤٧).

والإعراض عما سواه، وذلك متوقفٌ على معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقفٌ على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم»[١].

التوحيد هو الغاية من إرسال الرسل

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال صاحب «تيسير العزيز الحميد»: «أخبر تعالى أنه بعث في كل أمةٍ؛ أي: في كل طائفة وقرن من الناس رسولًا بهذه الكلمة: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ أي: اعبدوا الله وحده، واتركوا عبادة ما سواه؛ فلهذا خلقت الخليقة وأرسلت الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

(١) «تفسير السعدي»: (٧/ ١٨١).

وهذه الآية هي معنى : لا إله إلا الله ، فإنها تضمنت النفي والإثبات، كما تضمنته لا إله إلا الله، ففي قوله : ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إثبات، وفي قوله : ﴿ٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النفي.

فدلت الآية على أنه لابد في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه، وهو التوحيد الذي تضمنته سورة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾».

إلى أن قال: «ودلت الآية على: أن الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وأن أصل دين الأنبياء واحد، وهو الإخلاص في العبادة لله»[1].

التوحيد هو معنى لا إله إلا الله

قال الشيخ سليمان بن عبد الله : «التوحيد هو معنى لا إله إلا الله، الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلًا عن غيرهما»[2].

---

(١) «تيسير العزيز الحميد»: (٥٠، ٥١).

(٢) «تيسير العزيز الحميد»: ص: (٤٢).

قال ابن عباس في معنى الإله: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإله هو المعبود المطاع».

وقال أيضًا: «في لا إله إلا الله إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد، هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع».

وقال ابن رجب: «الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً وتوكلًا عليه وسؤالًا منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ﷻ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك».

وقال البقاعي: «لا إله إلا الله، أي: انتفى انتفاءً عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان الإذعان والعمل بما يقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صرف».

وقال الوزير أبو المظفر السمعاني في «الإفصاح»: «قوله: «شهادة أن لا إله إلا الله» يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بأن لا إله إلا الله، كما قال الله ﷻ ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وينبغي أن يكون الناطق بها شاهدًا فيها، فقد قال الله ﷻ ما أوضح به أن الشاهد بالحق إذا لم يكن عالمًا بما شهد به فإنه غير بالغ من الصدق به مع من شهد من ذلك بما يعلمه، في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾» [الزخرف: ٨٦].

قال: «واسم الله تعالى مرتفعٌ بعد «إلا» من حيث إنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه.

قال: واقتضى الإقرار بها أن تعلم أن كل ما فيه أمارة للحدث، فإنه لا يكون إلهًا، فإذا قلت: لا إله إلا الله،

فقد اشتمل نطقك هذا على أن ما سوى الله ليس بإله، فيلزمك إفراده سبحانه بذلك وحده.

قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأَثْبَتَّ الإيجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله»[1].

التوحيد سببٌ لدخول العبد الجنة ونجاته من النار

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[2].

(١) ما تقدم من النقول من «تيسير العزيز الحميد»: (٧٤-٧٦).
(٢) أخرجه البخاري: (٤/ ١٣٩) ومسلم رقم: (٢٨).

وفي حديث عتبان قال ﷺ: «فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»[(١)].

«اعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث وغيره من الأحاديث.

وأحسن ما قيل في معناه: ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: إن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة، وقالها خالصًا من قلبه مستيقنًا بها قلبه، غير شاك فيها بصدق ويقين.

فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك»[(٢)].

«و"حاصل: أن «لا إله إلا الله» سببٌ لدخول الجنة،

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ١١٠)، ومسلم: (١/ ٤٥٥).

(٢) «تيسير العزيز الحميد»: (ص/ ٨٧).

والنجاة من النار، ومقتضى لذلك، ولكن المقتضى لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه أو لوجود مانع.

ولهذا قيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح»[1].

التوحيد سبب للأمن والسعادة في الدنيا والآخرة

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١].

قال السعدي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ أي: يخلطوا ﴿إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، الأمن من

(١) «تيسير العزيز الحميد»: (٩٠، ٩١).

المخاوف، والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك ولا بمعاصى حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.

ومفهوم الآية الكريمة: أن الذين لم يحصل لهم الأمران لم يحصل لهم هداية ولا أمن بل حظهم الضلال والشقاء[1].

خطورة الشرك الذي هو ضد التوحيد

فوجب الاهتمام بالتوحيد حتى لا يقع الإنسان في الشرك:

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (٢/ ٤٢٦).

قال ابن كثير: «أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به، أي: لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك، أي: من الذنوب لمن يشاء من عباده»[1].

فتبين بهذا: أن الشرك أعظم الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره، أي: إلا بالتوبة منه، وما عداه فهو داخلٌ تحت مشيئة الله، إن شاء غفره بلا توبة، وإن شاء عذب به.

وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله، وإنما كان كذلك؛ لأنه أقبح القبح وأظلم الظلم؛ إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر، منافٍ له من كل وجه، وذلك غاية المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته والذل له، والانقياد لأوامره، الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه خرب وقامت القيامة، كما قال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» رواه مسلم.

---

(١) «تفسير ابن كثير»: ص: (١/ ٤٨١).

ولأن الشرك تشبيهٌ للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الإلهية، من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع، الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده.

فمن علق ذلك لمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، فضلًا عن غيره شبيهًا بمن له الخلق كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، فَأَزِمَّةُ الأمور كلها بيديه سبحانه ومرجعها إليه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانعِ لما أعطى، ولا معطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمة، فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو العزيز الحكيم.

فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات، بالقادر الغني بالذات، ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل، كل ذلك يجب عقلًا وشرعًا

وفطرة أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلًا وشرعًا وفطرةً أن يكون لغيره، فمن فعل شيئًا من ذلك لغيره، فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله، فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة، هذا معنى كلام ابن القيم[(١)].

وقد خشي نبي الله إبراهيم الشرك ودعى ربه أن يجنبه إياه، فقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وإنما دعا إبراهيم عليه السلام بذلك... لأن كثيرًا من الناس افتتنوا بها... فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام، فما ظنك بغيره؟!.

كما قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن من البلاء بعد إبراهيم؟» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك»[(٢)].

---

(١) نقله صاحب «تيسير العزيز الحميد»: (ص/ ١١٥، ١١٦).

(٢) «تيسير العزيز الحميد»: (ص/ ١١٧).

مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى توحيد

ظل ﷺ ثابتًا صادعًا بدعوة التوحيد بالرغم من قلة الناصر والمعين وطول الزمان بل لم يقبل المساومات والمزايدات لا في المعتقد ولا في غيره وتأمل موقفًا واحدًا من مواقفه ﷺ في الصدع بالتوحيد في سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ قال ابن كثير: «هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية»[١].

(١) «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٥٦٤).

القرآن من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد

يقول ابن القيم: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمرٌ ونهي وإلزامٌ بطاعته ونهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[١].

كان النبي ﷺ يربي أصحابه ﵃ على التوحيد منذ الصغر

فعن ابن عباس ﵄ قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٢].

(١) «مدارج السالكين»: (٣/ ٤٥٠).

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

كان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن يبدءوا دعوتهم للناس بالتوحيد

فقد قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، قال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله»[١]، وفي رواية: «إلى أن يوحدوا الله».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) نقله عنه صاحب «تيسير العزيز الحميد»: (ص/ ١٢٧).

أن شرك مشركي زماننا أشد من شرك أهل الجاهلية الأولى

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «القواعد الأربع»:

«القاعدة الرابعة: أن مشركي زماننا أغلظ شركًا من الأولين؛ لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة»[١].

ويقول صاحب «تيسير العزيز الحميد»: بعد أن وصف ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى من الشرك وأنهم كانوا يشركون في الرخاء، فإذا كانوا في الشدة دعوا الله مخلصين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

---

(١) «القواعد الأربع»: (ص/ ٤٦).

قال: «فهذه حال المشركين الأولين، وأما عباد القبور اليوم فلا إله إلا الله، كم ذا بينهم وبين المشركين الأولين من التفاوت العظيم في الشرك، فإنهم إذا أصابتهم الشدائد برًا وبحرًا أخلصوا لآلهتهم وأوثانهم التي يدعونها من دون الله، وأكثرهم قد اتخذ ذكر إلهه وشيخه ديدنه وهجيراه، إن قام وإن قعد وإن عثر، هذا يقول: يا علي، وهذا يقول: يا عبد القادر، وهذا يقول: يا بن علوان، وهذا يدعو البدوي، وهذا يدعو العيدروس، وبالجملة: ففي كل بلد في الغالب أناس يدعونهم ويسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، بل بلغ الأمر إلى أن سألوهم مغفرة الذنوب وترجيح الميزان ودخول الجنة و النجاة من النار، والتثبيت عند الموت والسؤال، وغير ذلك من أنواع المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وقد يسألون ذلك من أناس يدعون الولاية، وينصبون أنفسهم لهذه الأمور وغيرها من أنواع النفع والضر التي هي خواص الإلهية، ويلفقون لهم من الأكاذيب في ذلك عجائب منها أنهم يدعون أنهم يخلصون من التجأ إليهم ولاذ بحماهم من النار والعذاب فيقول أحدهم: إنه يقف عند النار، فلا يدع أحدًا ممن

يرتجيه ويدعوه يدخلها أو نحو هذا، وقد قال تعالى لسيد المرسلين صلى الله عليه وعليهم أجمعين: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: ١٩]، فإذا كان النبي ﷺ لا يقدر على تخليص أحد من النار، فكيف بغيره؟! بل كيف بمن يدعي نفسه أنه هو يفعل ذلك؟!.

ومنها: أن أكثرهم يلفق حكايات في أن بعض الناس استغاث بفلان فأغاثه، أو دعا الولي الفلاني فأجابه، أو في كربة ففرج عنه، وعند عباد القبور من ذلك شيء كثير من جنس ما عند عباد الأصنام، الذين استولت عليهم الشياطين ولعبوا بهم لعب الصبيان بالكرة.

ويوجد شيء من ذلك في أشعار المادحين لسيد المرسلين ﷺ، الذين جاوزوا الحد في مدحه ﷺ و عصوه في نهيه من الغلو فيه، وإطرائه كما أطرت النصارى ابن مريم، وصار حظهم منه ﷺ هو مدحه بالأشعار والقصائد والغلو الزائد، مع عصيانهم له في أمره ونهيه، فتجد هذا النوع من أعصى الخلق له صلوات الله عليه وسلامه، ويقع من ذلك كثير في مدح غيره، فإن عباد القبور لا يقتصرون على بعض من

يعتقدون فيه الضر والنفع، بل كل من ظنوا فيه ذلك بالغوا في مدحه وأنزلوه منزلة الربوبية، وصرفوا له خالص العبودية، حتى إنهم إذا جاءهم رجل وادعى أنه رأى رؤيا مضمونها أنه دفن في المحل الفلاني رجل صالح، وبادروا إلى المحل وبنوا عليه قبة وزخرفوها بأنواع الزخارف، وعبدوها بأنواع من العبادات.

وأما القبور المعروفة أو المتوهمة، فأفعالهم معها وعندها لا يمكن حصره، فكثير منهم إذا رأوا القباب التي يقصدونها كشفوا الرءوس فنزلوا عن الأكوار، فإذا أتوها طافوا بها واستلموا أركانها وتمسحوا بها، وصلوا عندها ركعتين، وحلقوا عندها الرءوس ووقفوا باكين متذللين متضرعين سائلين مطلبهم، وهذا هو الحج.

وكثيرٌ منهم يسجدون لها إذا رأوها، ويعفرون وجوههم في التراب تعظيمًا لها وخضوعًا لمن فيها، فإن كان للإنسان منهم حاجة من شفاء مريض أو غير ذلك نادى صاحب القبر، يا سيدي فلان، جئتك قاصدًا من مكانٍ بعيد، لا تخيبني.

وكذلك إذا قحط المطر، أو عقرت المرأة عن الولد، أو دهمهم عدو أو جراد، فزعوا إلى صاحب القبر، وبكوا عنده، فإن جرى المقدور بحصول شيء مما يريدون استبشروا وفرحوا، و نسبوا ذلك إلى صاحب القبر، فإن لم يتيسر شيء من ذلك اعتذروا عن صاحب القبر بأنه إما غائبٌ في مكان آخر، أو ساخطٌ لبعض أعمالهم، أو أن اعتقادهم في الولي ضعيف، أو أنهم لم يعطوه نذره، ونحو هذه الخرافات»(١).

اشتمال كثير من الكتابات والأشعار على أمور تخالف التوحيد.

وهذا الأمر موجود في كثير من المصنفات القديمة والمعاصرة ومن أمثلة ذلك: بعض كلمات مايتداول من الأغاني المحرمة، فهي مع حرمتها تشتمل على الشرك، كطلب المدد والغوث من غير الله، ومن خالط الواقع رأى العجائب.

---

(١) «تيسير العزيز الحميد»: (ص/ ٢٢٠-٢٢٢).

ومن بعض أشعار المادحين لسيد المرسلين ﷺ قول البوصيري:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي
إذا الكريم تجلى باسم منتقم
فإن لي ذمة منه بتسميتي
محمدًا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن في معادي آخذًا بيدي
فضلًا وإلا فقل يا زلة القدم

فتأمل ما في هذه الأبيات من الشرك منها:

أولًا: أنه نفى أن يكون له ملاذًا إذا حلت به الحوادث إلا النبي ﷺ، وليس ذلك إلا لله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعباد ملاذ إلا هو.

الثاني: أنه دعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطالب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية.

الثالث: سؤاله منه أن يشفع له في قوله: ولن يضيق رسول الله... البيت.

وهذا هو الذي أراده المشركون ممن عبدوه، وهو الجاه والشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك، أيضًا فإن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله، فلا معنى لطلبها من غيره، فإن الله تعالى هو الذي يأذن للشافع أن يشفع؛ لأن الشافع يشفع ابتداء.

الرابع: قوله: فإن لي ذمة... إلى آخره.

كذب على الله وعلى رسوله ﷺ، فليس بينه وبين من اسمه محمد ذمة إلا بالطاعة، لا بمجرد الإشراك في الاسم مع الشرك.

الخامس: قوله: إن لم يكن في معادي... البيت تناقضٌ عظيم وشركٌ ظاهر، فإنه طلب أولًا أن لا يضيق به جاهه، ثم طلب هنا أن يأخذ بيده فضلًا وإحسانًا، وإلا فيا هلاكه.

فيقال: كيف طلبت منه هنا أن يتفضل عليك، فإن كنت تقول: إن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله، فكيف تدعو النبي ﷺ وترجوه وتسأله الشفاعة؟ فهلا سألتها من له الشفاعة جميعًا الذي له ملك السماوات والأرض، الذي لا تكون الشفاعة إلا من بعد إذنه! فهذا يبطل عليك طلب الشفاعة من غير الله.

وإن قلت: ما أريد إلا جاهه وشفاعته بإذن الله.

قيل: فكيف سألته أن يتفضل عليك ويأخذ بيدك في يوم الدين، فهذا مضادٌ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧-١٩]، فكيف يجتمع في قلب عبد الإيمان بهذا وهذا.

وإن قلت: سألته أن يأخذ بيدي ويتفضل علي بجاهه وشفاعته.

قيل: عاد الأمر إلى طلب الشفاعة من غير الله، وذلك هو محض الشرك.

السادس: في هذه الأبيات من التبري من الخالق - تعالى وتقدس - الاعتماد على المخلوق في حوادث الدنيا والآخرة ما لا يخفى على مؤمن[(١)].

انتشار أهل البدع التي قد تقدح في التوحيد أو في كماله ونشاطهم في دعوتهم

ومن هذه البدع بدعة «الروافض» و«المعتزلة»، و«الإباضية»، وهي منتشرة اليوم ولها مصادرها التي تمولها و تشجعها وتساندها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والرافضة كفَّرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، الذين ﷺ ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين... ويكفرون أعلام الملة... ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور... ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود

(١) «تيسير العزيز الحميد»: (ص/ ٢٢٢-٢٢٤).

والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي... ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين... فهم أشد ضررًا على الدين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة... وقد أشبهوا اليهود في أمورٍ كثيرة، لاسيما السامرة من اليهود... ويشبهون النصارى في الغلو في البشر والعبادات المبتدعة، وفي الشرك وغير ذلك»(١)

ولعل قائلًا يقول: وأين أولئك النفر من الروافض، الذين حكى معتقدهم شيخ الإسلام ابن تيمية اليوم؟ فأقول: اقرأ أخا التوحيد حتى لا تخدع، وإليك البيان:

جاء في «الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة»: الشيعة الإمامية الإثنا عشرية من معتقداتهم: يعتقدون بوجود مصحف لديهم اسمه مصحف فاطمة: ويروي الكليني في كتابه «الكافي» في صفحة ٥٧ طبعة ١٢٧٨هـ عن أبي بصير - أي جعفر الصادق-: «وإن عندنا

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٢٨/ ٤٧٧-٤٨٣) باختصار وتصرف.

لمصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: و ما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم».

البراءة: إنهم يتبرءون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وينعتونهم بأقبح الصفات لأنهم كما يزعمون اغتصبوا الخلافة دون علي الذي هو أحق منهم بها، كما يبدءون بلعن أبي بكر وعمر بدل التسمية في كل أمر ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن.

ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالطعن واللعن.

المغالاة: بعضهم غالي في شخصية علي رضي الله عنه، والمغالون من الشيعة رفعوه إلى مرتبة الألوهية كالسبئية، وبعضهم قالوا بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة، فنزل على محمد ﷺ بدلًا من أن ينزل على علي[1].

---

(١) «الموسوعة الميسرة»: (ص/ ٣٠١-٣٠٣).

قلت: هذه أخا العقيدة بعض معتقداتهم الضالة الباطلة التي تقشعر منها الأبدان

أما مناطق نفوذهم وانتشارهم:

فتنتشر فرقة «الإثنا عشرية» من الإمامية الشيعة الآن في إيران وترتكز فيها، ومنهم عدد كبير في العراق، ويمتد وجودهم إلى باكستان، كما أن لهم طائفة في لبنان، أما في سوريا فهناك طائفةٌ قليلةٌ منهم، لكنهم على صلةٍ وثيقةٍ بالنصيرية الذين هم من غلاة الشيعة(١).

وهم يتطلعون إلى نشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي(٢).

أما «المعتزلة» فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات، ويقاربون قول جهمٍ، لكنهم ينفون القدر، فهم وإن عظموا الأمر والنهي، والوعد والوعيد وغلوا فيه، فهم يكذبون بالقدر، ففيهم نوعٌ من الشرك من هذا الباب، والإقرار بالأمر والنهي والوعد

(١) المرجع السابق: (ص/ ٣٠٤).

(٢) المرجع السابق: (ص/ ٢٩٩).

والوعيد مع إنكار القدر، خير من الإقرار بالقدر مع إنكار الأمر والنهي والوعد والوعيد. . . فهؤلاء المتصفون الذين يشهدون الحقيقة الكونية مع إعراضهم عن الأمر والنهي شر من القدرية المعتزلة ونحوهم، أولئك يشبهون المجوس، وهؤلاء يشبهون المشركين»[١].

ويقول ﷺ: «المشهور من مذهب الإمام أحمد، وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية، وهم المعطلة لصفات الرحمن، فإن قولهم صريحٌ في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع، ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله؛ ولهذا قال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية».

وقال غير واحد من الأئمة: «إنهم أكفر من اليهود والنصارى، يعنون من هذا الجهمية، ولهذا كفروا من يقول: إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة، وإن الله ليس

(١) «مجموع الفتاوى»: (٣/ ١٠٣-١٠٤).

على العرش، وإن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب، ونحو ذلك من صفاته»[١].

قلت: لا يهولنك الأمر أخا العقيدة، وكأني بك تقول: وأين من يعتقد مذهب المعتزلة اليوم ويدين بدينهم؟ وكأني بك تقول: إنها فرقة بائدة مندثرة.

أقول لك: رويدك حتى تقرأ ما سأنقله لك: جاء في «الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة»: «الإباضية فرقة... من فرق الخوارج...»[٢].

من أفكارهم ومعتقداتهم:

- لا يقولون برؤية الله تعالى في الآخرة.

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ٤٨٦، ٤٨٧)، وانظر شرح «العقيدة الطحاوية»: (٥٢١)، و«شرح لمعة الاعتقاد»: (١٢٤).

(٢) «الموسوعة الميسرة»: (ص/ ١٥) قلت: وخوارج اليوم يدينون بعقائد المعتزلة في كثير من أبواب الدين، وكذا الشيعة الزيدية، فإباضية اليوم جمعوا بين فرقتين الخوارج والمعتزلة، وهكذا أهل الباطل في كل زمان ومكان مخلطون مضطربون.

- يؤولون بعض مسائل الآخرة تأويلًا مجازيًا كالميزان والصراط.

- صفات الله ليست زائدة على ذات الله، ولكنها هي عين الذات.

- القرآن لديهم مخلوق.

- مرتكب الكبيرة كافر، ولا يمكن في حال معصيته وإصراره عليها أن يدخل الجنة إذا لم يتب منها[١].

هذه بعض معتقداتهم الباطلة فقارنها بما ذكر شيخ الإسلام من عقائد المعتزلة... وأنت الحكم.

أما عن تواجدهم وأماكن نفوذهم: فقد كانت لهم صولة وجولة في جنوبي الجزيرة العربية، حتى وصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، أما في الشمال الأفريقي فقد كانت لهم دولة عرفت باسم «الدولة الرستمية» وعاصمتها تاهرت.

لقد حكموا الشمال الأفريقي حكمًا متصلًا مستقلًا زهاء

---

(١) المرجع السابق: (ص/١٦، ١٧).

مائة وثلاثين سنة حتى أزالهم الفاطميون.

- لقد قامت للإباضية دولةٌ مستقلة في عمان، وتعاقب على الحكم فيها إلى العصر الحديث أئمة إباضيون.

من حواضرهم التاريخيه جبل نفوسة بليبيا؛ إذ كان معقلًا لهم، ينشرون منه المذهب الإباضي، ومنه يديرون شئون الفرقة الإباضية.

ما يزال لهم وجود إلى وقتنا الحاضر في كل من: عُمان وحضرموت واليمن وليبيا وتونس و الجزائر، وفي واحات الصحراء الغربية(١).

ها هي المعتقدات وها هي الدعوات لها أعوانٌ وأنصار فأين أنتم يا أنصار التوحيد؟! وأين الاجتهاد في نصر معتقد أهل السنة والتوحيد؟!.

فليت شعري، ماذا يقول المزهدون في دراسة التوحيد، والمزهدون في بيان بطلان عقائد الفرق المخالفة لمنهج السلف؟!.

(١) المرجع السابق: (ص/١٩).

وجود من يزهد في دراسة التوحيد أو في بعض مسائله

وهذا أمرٌ خطيرٌ، فتجد بعض الناس يقول دعوكم من أمور الأسماء والصفات واهتموا بالمذاهب الكفرية المعاصرة من علمانية وشيوعية وليبرالية.

وتجد آخر يقول: نريد أن نقاتل اليهود أولًا، ثم ادرسوا ما شئتم من أمور العقيدة.

وثالث يقول: أنتم تشغلون الناس بأمور تفرق بينهم وتوقع العداوة والبغضاء.

ونحن نقول: بل نحن على دعوة نبينا ﷺ؛ حيث أمره ربه أن يوضح سبيله وسبيل من اتبعه من المؤمنين: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فاثبت أخا التوحيد على نهج النبي ﷺ وصحبه الكرام، وليكن أول ماتدعو إليه الناس: «أن يوحدوا الله».

وإليكم مثال من كلام أولئك المزهدين، كتب بعض الأفاضل تحت عنوان: «إهالة التراب على المشكلات التاريخية»، قال: «نريد من الفكر الجديد أن يهيل التراب على المشكلات التاريخية التي شغلت الفكر الإسلامي في وقتٍ من الأوقات، وبددت طاقته في غير طائلٍ: مشكلة الذات والصفات، هل الصفات عين الذات أو غيرها؟ أو هي لا عين ولا غير؟

- مشكلة خلق القرآن وما ترتب عليها من محنة لأئمة الإسلام.

- المبالغة في الكلام حول التأويل وعدمه بين السلف والخلف، والطعن على الأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم على نهجهم.

كل هذا لا ينبغي أن يكون مشغلة الفكر الذي نعده للمرحلة القادمة؛ ليواجه الصهيونية والصليبية والماركسية، والفلسفات الهدامة القادمة من الغرب والشرق»[(١)].

---

(١) «أولويات الحركة»: (ص ١٠٠).

وجود خلل في فهم التوحيد وقصره على بعض أجزائه

بعض الدعاة الذين يدعون إلى دين الله ﷻ تتوجه عنايتهم بدراسة نوع معين من أقسام التوحيد، ويعتنون به أشد العناية على حساب أقسام التوحيد الأخرى.

بل وصل الأمر ببعض أولئك أنهم إذا وجدوا أحدًا يتكلم في بعض المسائل المتعلقة بالتوحيد - ولكنها ليست من تلك المسائل التي يهتمون بها ويتكلمون فيها- عابوا على ذلك المتكلم، وقد ينكرون عليه.

فمثلًا: هناك من يهتم بتوحيد الأسماء والصفات، وما يتفرع عنه من الحديث عن الفرق المنحرفة، ويهمل بقية أنواع التوحيد.

وآخرون يهتمون ببعض توحيد الألوهية كالذبح لغير الله أو دعاء الأموات والنذر لهم والرياء والحلف بغير الله

ونحوه، أما ما عداه فلا يهتمون به، ولا يكاد يذكر عندهم، وإن ذكر فلا يعيره اهتمامه.

ومن تلك الأقسام التي يهملونها: وجوب الخضوع لذي الجلال والإكرام، والتحاكم إلى شريعة الله، وما يترتب على ترك الحكم بما أنزل الله من عبادة الطاغوت.

وقسمٌ ثالث: يقصرون التوحيد على إفراد الله بالحكم، ووجوب التحاكم إليه وحده، ويحذرون من الطواغيت والأرباب من دون الله، ولا يعنون ببقية أقسام التوحيد: من شرك الأموات، والحديث عن الفرق الضالة وانحرافها، وكذلك لا يعنون بتوحيد الأسماء والصفات.

وأزيد الأمر وضوحًا وأفصِّل فيه؛ لخطورة هذه المسألة وانتشارها بين كثير من الدعاة والهداة.

فمثلًا: في بعض البلاد الإسلامية وفي بعض المناطق، إذا تحدث أحد أو ألَّفَ فيما يتعلق بالبناء على القبور، وحكم من استغاث بغير الله أو نذر لغير الله، قيل له: إن هذا يتحدث في أمور ذوقية، فإن تحدث متحدث عن الفرق

وضلالها قالوا: إنك تبث الفرقة والخلاف.

أما إن تحدث عن وجوب تحكيم شريعة الله ونبذ ما سواها، قالوا: هذا يتكلم عن التوحيد، أمَا يعرفون أن من تحكيم شرع الله خضوع الإنسان في عبادته وحياته كلها لله سبحانه.

وآخرون: يصفون من يتحدث عن الأسماء والصفات، وخطورة الفرق على الأمة بأنه من دعاة التوحيد ومعني بالتوحيد.

والخلاصة: أنك تجد كل فريقٍ قد أخذ بقسم من أقسام التوحيد، وقَصَرَ التوحيد عليه، وفسره به، وأخرج عنه ما عداه.

أو صرف اهتمامه إلى جزءٍ معين من أقسام التوحيد، وأهمل بقية أقسامه.

والمطلوب: هو فهمٌ شمولي للتوحيد، يهتم بجميع مسائله وأقسامه.

وقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله يفهمون التوحيد فهما شاملًا متكاملًا، وصنفوا وتكلموا في كل الأقسام والأنواع.

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ نجده في كتبه وفتاويه يؤكد على وجوب التمسك بتوحيد الله ﷻ، والبعد عن الشرك، ووجوب التزام منهج السلف في الصفات، و يرد على الصوفية والمعتزلة والأشاعرة والروافض، ويتكلم عن التتار والمغول وتبديلهم شرع الله وما جاءوا به من أنظمة وياسق ونحوها، ووجوب تحكيم شريعة الله.

وهذا ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» يقول: «الاعتراض على الله على ثلاثة أنواع سارية بين الناس:

١- الاعتراض على أسمائه وصفاته بالشبه الباطلة.

٢- الاعتراض على شرعه وأمره.

٣- الاعتراض على أفعاله وقضائه وقدره.

ثم يبين كيفية هذا الاعتراض... وكان مما قال تحت القسم الثاني:

«ومنهم أهل الاعتراض بالسياسات الجائرة التي لأرباب الولايات التي قدموها على حكم الله ورسوله، و حكموا بها بين عباده، وعطلوا لها وبها شرعه وعدله وحدوده.

وقال أصحاب السياسة: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة، فجعلت كل طائفة قبالة دين الله وشرعه طاغوتا يتحاكمون إليه»[1]. اهـ.

ونجد ابن أبي العز الحنفي في «شرح العقيدة الطحاوية» قد بين أنواع التوحيد، ولم يقتصر على نوعٍ دون الآخر.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عقد أبوابًا في جميع أنواع التوحيد في كتابه الفريد «كتاب التوحيد»، ومن ذلك:

- باب تفسير التوحيد وشهادة لا إله إلا الله.

---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ٦٥).

- باب ما جاء في الذبح لغير الله.

- باب ما جاء في الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا.

- باب ما جاء في السحر

- باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات.

- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله.

- باب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا إِلَى الطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا أَن يَكْفُرُوا بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠].

- باب ما جاء في منكر القدر.

إلى غير ذلك من الأبواب والمسائل التي تكلم عليها في كتابه.

ضعف أثر عقيدة التوحيد
عند بعض المسلمين

كل أمر معرفي يجب أن يمر بثلاث دوائر:

الأولى: الدائرة العلمية المعرفية.

الثانية: الوجدان والتفاعل.

الثالثة: العمل والتطبيق.

ولنأخذ مثالًا يوضح ذلك:

رجلٌ جاءه خبر بوفاة عزيز لديه، فإنه يتأثر وينفعل ولو داخليًا، ثم يقوم بما يجب عليه تجاه هذا الأمر، من صلاةٍ عليه، وتعزية لأهله، والقيام ببعض حقوقه إن لزم الأمر.

فعلمه بالوفاة هو الدائرة الأولى، وتأثره وتفاعله هو الدائرة الثانية، وقيامه بما يجب عليه الدائرة الثالثة.

وعلم التوحيد يجب أن يمر بهذه المراحل جميعًا.

فمثلًا: يجب أن يعلم أن الله شديد العقاب، ثم يتفاعل مع هذا العلم فيخاف الله، ومن ثم يبتعد عن المعاصي ويأتي بالأوامر؛ خوفًا من عقابه.

وعند التأمل في واقع كثيرٍ من المسلمين يجد الإنسان أنه لا ينقصهم العلم المعرفي، فقد تجد الكثير منهم يعرف التوحيد بأقسامه و تفصيلاته، ولكن عندما نبحث في مدى تأثره وجدانيًا لا نلمس أي أثر لذلك، أو قد نجد أثرًا ضعيفًا لا يتناسب مع علمه ومعرفته.

فإذا انتقلنا إلى مرحلة التطبيق والعمل ندرك الخلل الكبير والفرق بين علمه وعمله، وهكذا كان بنو إسرائيل، فمعهم علمٌ غزير ولكنهم لم يتأثروا ولم يعملوا.

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نفسر كثيرًا من الظواهر السلبية في حياة بعض المسلمين، فإنه لا ينقصهم العلم المعرفي، ولكن ينقصهم التفاعل والتأثر والعمل.

ولنضرب أمثلة من الواقع: فلو جئت إلى أحد المسلمين وقلت له: من يرزقك لأجابك: إنه الله -جل وعلا-.

فإذا سألته: وما دليك؟ أجابك على الفور: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقد يزيد دليلًا آخر، فيقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

ثم تأمل حال هذا الإنسان: يكد ليلًا ونهارًا وكأنه خلق لهذه الدنيا، فعبادته ضعيفة، وحقوق الأهل والأقارب مقطوعة، بل وحقوق النفس مضيعة.

ثم قد يقول لك أو لغيرك: إن فلانًا يريد أن يقطع رزقي، وأخشى أن أموت من الجوع، ومَنْ لأولادي مِنْ بعدي، ونحو هذه العبارات التي تدل على أن علمه المعرفي لم يتحول إلى حقيقة يتعامل معها في وجدانه وسلوكه، وإنما بقي علمًا معرفيًا نظريًا.

ومثال آخر: حب الله ورسوله: لا تجد مسلمًا إلا ويقول لك: إنه يحب الله ورسوله ﷺ بل إن حبهما أغلى لديه من كل محبوب.

ولكن انظر إلى تصرفه ومعاملاته وحياته لا تجد مصداق ذلك، فهو يقدم محبوب نفسه وشهوته على حب الله وأمره؛ ولذلك جاء قوله تعالى يعالج هذه القضية وهذا الخلل بين

التصور والسلوك، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وصور هذه الحقيقة الإمام الشافعي فقال:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه
هذا لعمرك في القياس شنيع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

وقل مثل ذلك في سائر مسائل الاعتقاد، وخصوصًا لوازم الأسماء والصفات.

ومن هنا: فإنه يجب على العلماء وطلاب العلم العناية بهذه القضية، وخصوصًا من يدرسون التوحيد، فلا يكتفون بتدريسها علمًا معرفيًا نظريًا، وإنما يجب أن يعنوا بأن يتفاعل معها المسلم وجدانيًا ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

وكذلك عليهم أن يولوا جانب التطبيق أهمية قصوى؛

لأن العمل هو الثمرة من العلم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الحجرات: ١٤].

وبهذا يتكامل التوحيد ويؤتي ثماره، وهذا معنى قول أبي عبد الرحمن السلمي: ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل، ولنتأمل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣][(١)].

جهل كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام بمعنى لا إله إلا الله ومقتضياتها ولوازمها

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون؛ بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له،

(١) انظر حول ما تقدم كتاب «التوحيد أولًا» للشيخ ناصر العمر.

وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء، والحب والبغض ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي ﷺ: **«إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[١]، وقوله: **«لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله»**[٢]، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثيرٍ من الناس حتى ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالدًا، ونحو ذلك من التأويلات المستكرهة، فإن النبي صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام؛ لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم وهم تحت الجاحدين لها

---

(١) سبق تخريجه ص٣٧ .

(٢) سبق الكلام عليه في شروط لا إله إلا الله.

في الدرك الأسفل من النار، بل لابد من قول القلب وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي و الإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلب علمًا ومعرفةً ويقينًا وحالًا ما يوجب تحريم قائلها على النار.

وتأمل حديث البطاقة[1] التي توضع في كفةٍ، ويقابلها تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها، ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة،.. ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٢/ ٢١٣) والترمذي في الإيمان: (٧/ ٢٩٥) رقم: (٢٦٤١).

وتأمل أيضًا ما قام بقلب قاتل المائة[١] من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية فجعل ينوء بصدره ويعالج سكرات الموت؛ لأن ذلك كان أمرًا آخر وإيمانًا آخر؛ ولذلك ألحق بأهل القرية الصالحة.

وقريبٌ من هذا ما قام بقلب البغي[٢] التي رأت ذلك الكلب وقد اشتد به العطش، يأكل الثرى - فقام بقلبها ذلك الوقت - مع عدم الآلة وعدم المعين وعدم من ترائيه بعملها، ما حملها على أن غررت بنفسها في نزول البئر وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرضها للتلف وحملها خفها بفيها وهو ملآن حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه، فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاءً ولا شكورًا، فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد ما تقدم منها من البغاء؛ فغفر لها»[٣]

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب الأنبياء: (ج٦/ ٥١٢) رقم: (٣٤٧٠) و«صحيح مسلم» كتاب التوبة: (٤/ ٢١١٨) رقم: (٢٧٦٦).

(٢) «صحيح مسلم» كتاب السلام: (٤/ ١٧٦١) رقم: (٢٢٤٥).

(٣) «مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ٣٣٠-٣٣٢) بتصرف بسيط.

وقد ورد في «صحيح مسلم» قوله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله»[(١)].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه»[(٢)].

ومن هنا نعلم فساد عقيدة المرجئة: الذين يقولون: إن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأخروا العمل عن الإيمان.

ومن المعلوم أن كفار مكة قد علموا مراد النبي ﷺ من كلمة لا إله إلا الله، فأبوا واستكبروا، ولم يك ينفعهم

(١) «صحيح مسلم» كتاب الإيمان: (١/ ٥٣) رقم: (٢٣).

(٢) «كتاب التوحيد»: (ص/ ١١٥) مع «فتح المجيد».

إيمانهم بأن الله واحد رازق محيي مميت، ولما قال لهم النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

«فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق من يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا يدبر الأمر كله إلا الله، فلا خير في رَجُلٍ جُهَّالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله»[١].

وأيضًا أمره ﷺ بقتل الخوارج: «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[٢] مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلًا وتسبيحًا، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وقد تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم «لا إله إلا الله»، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء

---

(١) «مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب»: (٥/ ١٥ ط١).

(٢) «صحيح مسلم» كتاب الزكاة: (ج٢/ ٧٤٢ ح ١٠٦٤).

الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة[١]. اهـ.

ومن هنا يعلم كل ذي لب أنها لو كانت كلمة -مجرد كلمة- لكان أمرها على قريش سهلًا فتنطقها، وتتخلص من هذا العناء وتسفيه الآلهة!.

ولكنها تعلم أن هذه الكلمة لها مدلولها الذي يغير أوضاع قريش الجاهلية ولها مقتضياتها التي تحطم طغيان قريش واستعبادها للناس.

ولها أهميتها في تحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض إلى عبودية الواحد القهار، وجعل التقوى هي الميزان والفخار الذي ينشده الناس، وليس العادات والتقاليد الجاهلية التي توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد.

فحريٌّ بكل مسلم جاد في إسلامه أن يقدر لهذه الكلمة قدرها، حتى يكون ممن عبد الله على بصيرة وعلم ويقين.

(١) «كشف الشبهات».

انتشار كثير من نواقض التوحيد مع جهل كثير من المسلمين بهذه النواقض

«نواقض الإيمان أعظم الذنوب على الإطلاق، فمن ارتكب ناقضًا من تلك النواقض فقد خرج من الملة، فلا يبقى إيمان مع وجود أحد هذه النواقض، فهي تحبط جميع الطاعات، إضافة إلى أن الله تعالى لا يغفر لمن مات عليها، بل صاحبها مخلد في نار جهنم، كما جاء ذلك في كتاب الله تعالى، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩١]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد: ٣٤]».

ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مسألة التكفير وما يترتب عليها من نتائج وتبعات كان مما قاله:

«اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء

والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقتٍ ومكان»[(١)].

ونظرًا لخطورة هذه النواقض، فإنه يتعين علينا العلم بها، ومعرفة أنواعها، فينبغي استبانة سبل الكافرين؛ مخافة الوقوع فيها.

قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

يقول ابن القيم -في هذا المقام-: «والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلةً، وسبيل المجرمين مفصلةً، وعاقبة هؤلاء مفصلةً، وعاقبة هؤلاء مفصلةً، فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفةً تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفةً تفصيليةً، فاستبانت لهم السبيلان، كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلى مقصوده، والطريق الموصل إلى الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق و أنفعهم للناس

(١) «مجموع الفتاوى»: (١٢/ ٤٦٨).

وأنصحهم لهم، وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة؛ فإنهم نشئوا في سبيل الضلال والكفر والشرك، وعرفوها مفصلة، ثم جاء الرسول ﷺ فأخرجهم من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن الشرك إلى التوحيد. . . فعرفوا مقدار ما نالوه، ومقدار ما كانوا فيه، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها.

فاللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر رضي الله عنه: «إنما تنقض عرى الإسلام عروةً عروةً إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية».

وهذا من كمال علم عمر رضي الله عنه. . .، فمن لم يعرف سبيل المجرمين، ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة في أمورٍ كثيرةٍ»[(١)].

ويقول حذيفة رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. . .»[(٢)].

---

(١) «الفوائد»: (١٠١، ١٠٢) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الفتن: (٣/ ٣٥) ومسلم كتاب الإمارة: (١٨٤٧).

ويبين الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمهم الله- أهمية هذا الموضوع قائلًا: «اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغي للمؤمن الاعتناء بها؛ لئلا يقع في شيء منها وهو لا يشعر، وليتبين له الإسلام والكفر، حتى يتبين له الخطأ من الصواب، ويكون على بصيرة في دين الله، ولا يغتر بأهل الجهل والارتياب وإن كانوا هم الأكثرين عددًا، فهم الأقلون عند الله، وعند رسوله والمؤمنين قدرًا»[1]

ومع ظهور هذه النواقض ووجوب الحذر منها، إلا أن الناظر إلى واقع بلاد المسلمين عمومًا يرى أن هذه النواقض قد عمت وطمت الكثير من تلك الديار، فيشاهد ويسمع ويقرأ مظاهر متنوعة وأنماطًا مختلفة لما يناقض الإيمان، كما صارت هذه النواقض أمرًا مألوفًا، بل تجاوز الأمر ذلك. . .، فسميت تلك النواقض بأسماء محببة للنفوس، ترويجًا لها وتضليلًا للناس.

ومما يؤكد أهمية هذا الموضوع: أن موقف الكثير من

---

(١) «الدرر السنية»: (٨/ ١١٨).

المسلمين أمام تلك النواقض لا يخلو من غلو، أو جفاء، فهناك من غلا وتشدد أمام تلك النواقض، فأدخل في النواقض ما ليس منها، وفي المقابل نجد أقوامًا قد تساهلوا في أمر هذه النواقض، فجعلوها مجرد محرمات لا تخرج من الملة، وهدى الله تعالى أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فقرروا هذه المسألة بعلمٍ وعدل»[١].

ضعف الولاء والبراء واختلال مفهومه لدى كثير من الناس

قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

(١) «نواقض الإيمان القولية والعملية»: (ص/ ٣-٦).

وقال تعالى ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الآية: «فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف «لو» التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه...»[(١)].

وقال النبي ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[(٢)].

---

(١) «الإيمان» لابن تيمية: (ص/ ١٤).

(٢) أخرجه أحمد: (٤/ ٢٨٦)، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان: (١١٠)، والحاكم: (٢/ ٤٨٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحه» رقم: (١٧٢٨).

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله: «فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله والبغض في الله والمعاداة في الله والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقةٍ واحدةٍ، ومحبة من غير عداوةٍ ولا بغضاء لم يكن فرقانًا بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»(١).

ويقول الشيخ حمد بن عتيق: «فأما معاداة الكفار والمشركين: فاعلم أن الله ﷻ قد أوجب ذلك وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده»(٢).

ومن مظاهر الموالاة المحرمة:

أ- طاعة الكفار في التشريع والتحليل والتحريم، وإظهار موافقتهم على ذلك.

---

(١) «رسالة أوثق عرى الإيمان»: (ص/ ٣٨).

(٢) «النجاة والفكاك» ضمن «مجموعة التوحيد»: (ص/ ٣٦٣).

قال ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران: ١٤٩].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -عند هذه الآية-: «أخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلابد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفًا منهم، وهذا هو الواقع، فإنهم لا يقتنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين»(١).

ب- التشبه المطلق بهم، أو التشبه بهم فيما يوجب الكفر والخروج عن الملة.

قال ﷺ «من تشبه بقومٍ فهو منهم»(٢).

---

(١) «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك»: (ص/ ٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود: (٤/ ٣١٤) وأحمد: (٢/ ٥٠) وقال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم»: (١/ ٢٣٦) «إسناده جيد»، وحسنه الألباني «صحيح الجامع»: (٦٠٢٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فقد يحمل هذا على التشبه المطلق، فإنه يوجب الكفر، ويقتضي تحريم أبعاض ذلك، وقد يحمل على أنه منهم، في القدر المشترك الذي شابههم فيه، فإن كان كفرًا، أو معصية أو شعارًا لهم كان حكمه كذلك، وبكل حال يقتضي تحريم التشبه»[(١)].

ومن صور التشبه بغير المسلمين:

- مشاركة الكفار في أعيادهم، هي محرمة على أقل الأحوال.

قال ﷻ مثنيًا على عباده المؤمنين، فوصفهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض السلف: الزور: أعياد المشركين[(٢)].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم»: (١/ ٢٣٧، ٢٣٨).

(٢) انظر «تفسير ابن جرير»: (١٩/ ٢٩) و«الدر المنثور»: (٦/ ٢٨٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الأعياد من جملة الشرع والمناهج والمناسك التي قال الله سبحانه: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧]، كالقبلة والصلاة، والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم في العيد، وبين مشاركتهم في سائر المناهج، فإن الموافقة في جميع العيد موافقة في الكفر، والموافقة في بعض فروعه موافقة في بعض شعب الكفر، بل الأعياد هي من أخص ما تتميز به الشرائع، ومن أظهر ما لها من الشعائر، فالموافقة فيها موافقة في أخص شرائع الكفر و أظهر شعائره، ولا ريب أن الموافقة في هذا قد تنتهي إلى الكفر في الجملة بشروطه».

ويقول أيضًا: «إنه إذا سوغ فعل القليل من ذلك أدى إلى فعل الكثير، ثم إذا اشتهر الشيء دخل فيه عوام الناس، وتناسوا أصله حتى يصير عادةً للناس، بل عيدًا، حتى يضاهى بعيد الله، بل قد يزاد عليه، حتى يكاد أن يفضي إلى موت الإسلام وحياة الكفر، كما قد سوله الشيطان لكثير ممن يدعي الإسلام فيما يفعلونه في أواخر صوم النصارى من الهدايا والأفراح والنفقات وكسوة الأولاد، وغير ذلك

مما يصير به مثل عيد المسلمين»[١].

ج- ومن الموالاة التي تناقض الإيمان الدعوة إلى وحدة الأديان، وخلاصة هذه الدعوة: إزالة الخلاف العقدي، وإسقاط الفوارق الأساسية فيما بين تلك الديانات؛ ذلك من أجل توحيد هذه الملل المختلفة على أساس الاعتراف بعقائدهم وصحتها.

وقد يطلقون على هذه الوحدة المزعومة بين الديانات الثلاث «الإسلام والنصرانية واليهودية» ما يسمى بالديانة الإبراهيمية أو الديانة العالمية.

وقد نشأت هذه الدعوات المضللة في أحضان التنصير والصهيونية العالمية[٢].

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم»: (١/ ٤٧١).

(٢) انظر «الاتجاهات الوطنية» لمحمد محمد حسين: (٢/ ٣١٨-٣٣٠) وانظر ما سيأتي (ص/ ٢١٦)، وانظر الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان» للشيخ بكر أبو زيد.

انتشار كثير من المصطلحات والأفكار المخالفة للتوحيد

فمن المصطلحات التي يلبس بها على الناس وظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب:

«الحداثة»: «مصطلح أدبي يطلق الآن على اتجاه يسود العالم العربي كله، مع اختلاف من قطر إلى آخر في درجة التحمس له... هذا الاتجاه الحداثي صار غطاءً وهميًا لدى أنصاره الذين يشغلون مساحاتٍ واسعة من القطاعات... وبخاصة القطاع الصحفي، والقطاع الأدبي والفني، ويعمل من خلاله الشيوعيون والماركسيون والعلمانيون في حريةٍ تامة؛ ويساعدهم في العمل المناصب التي يعتليها بعضهم، وهي مناصب حساسة جدًا ومؤثرة جدًا في مجال تكوين الرأي العام، والعبث بقيم الأمة في وضح النهار.

وتقوم الحداثة العربية المعاصرة على مبدأ عام، هو كراهية التراث العربي الإسلامي، وكراهية ما أنزل الله

وما قال رسوله الكريم، أو بعبارة أخرى هم يكرهون النظام العام الذي جاء به الإسلام لينضوي تحته المسلمون جماعة وأفرادًا ويحاولون محوه من الوجود تحت مصطلح لهم يدعونه «محو القَبْلِيَّة»، أي: محو كل ما كان من قبل أيا كان، دينًا أو تراثًا، أو ما يتصل بالدين والتراث ولو من بعيد، فالحداثة بهذا المعنى إتجاهٌ عميل يعملُ ضد مقومات الأمة لحساب أعدائها من الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، والإلحاد العالمي الأحمر»(١).

«الإبداع» يعرف أحد دعاة التنوير الإبداع فيقول: «هو عبارةٌ عن قدرة العقل على اكتشاف علاقاتٍ جديدة استنادًا إلى عقلٍ ناقد يسمح باستحداث تغيير في الطبيعة، ومعنى ذلك أن الإبداع ليس مجرد عملية عقلية، وإنما هو عملية عقلية لابد أن تنتهي إلى إحداث تغيير في الواقع، وإذا لم يحدث هذا التغيير في الواقع فلا يمكن القول، في هذه الحالة، بأن ثمة إبداعا»(٢)

---

(١) «الحداثة... سرطان العصر» للدكتور عبد العظيم المطعني: (ص/ ٣).

(٢) «جرثومة التخلف» ص: (١٤١).

ويعلل ندرة الإبداع فيقول: «الإبداع نادر ليس بسبب عوامل ذاتية عند الإنسان، ولكن بسبب عوامل موضوعية، وعلى الأخص ما يمكن تسميته بالمحرمات الثقافية. فالمحرمات الثقافية تشل العقل الناقد وبالتالي تشل عملية الإبداع، علينا أن نقتحم هذه المحرمات الثقافية حتى يمكن أن نسمح للإنسان بممارسة الإبداع، وهذا ماحدث في أوربا، كانت فيها محرمات ثقافية، ومع ذلك اقتحمت هذه المحرمات ونشأ ما هو معروفٌ بعصر النهضة، وعصر الإصلاح بالذات، إذ معناه إعمال العقل في كل النصوص الدينية بلا استثناء. وعندما انشغل العقل بفهم كل نص أمكنه أن يقتحم مجالات عديدة بدون حساسية»[1].

هذا هو مفهوم الإبداع عندهم الذي لا يمكن أن يوجد إلا من خلال العبث الفكري بالنص الشرعي.

«التنوير» يقول أحد دعاته: «وما يعنيه التنوير... هو منح الأولوية للعقل في إدراك الوجود وإبداع العالم، والنظر إلى العقل البشري بوصفه النور الذي يهتدي به الإنسان، ويصوغ

(١) «جرثومة التخلف» ص: (١٤٣).

به عالمه، متحررا من أشكال الوصاية التي تحجر على العقل أو تقيد انطلاقه، وكان منح الأولوية للعقل في السياق نفسه، شعار طوائف متعددة في تراثنا العربي الإسلامي اقترن لديها نور العقل بحرية الإنسان وحقه في اختيار فعله الخلاق وممارساته في كل مجالات الفعل المعرفي والإجتماعي والسياسي والاقتصادي وذلك في مواجهة طوائف أخرى استبدلت بالعقل النقل، وبالحرية العبودية، وبالاختيار الجبر، وبالعدل الظلم، وبالمعنى العقلاني للتوحيد المعنى القمعي للإذعان المفروض على الجماعة»(١).

ويقول آخر: «التنوير هو أنه لاسلطان على العقل إلا العقل نفسه»(٢).

«الأصولية» يقول أحد المعادين لما يسمى بالأصولية موضحًا ما يريده بمصطلح الأصولية: «الأصولية الدينية أعني بها؛ رفض إعمال العقل في النص الديني ورفض بعض النظريات العلمية، وبالأخص نظرية دارون عن التطور

(١) «أنوار العقل» لأحد التنوير: ص: (٦).

(٢) «جرثومة التخلف»: ص: (١٨٠).

بدعوى أنها مناقضة لما جاء به الدين، وكراهية منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية باعتبار أنها تؤدي إلى اغتراب الإنسان المعاصر، وأنها تغير من نسق القيم التقليدي»[(١)].

ويقول آخر: «نستطيع أن نقول أن «الأصولية» مصطلح من المصطلحات المعاصرة التي شاعت في حياتنا الفكرية مؤخرا للإشارة إلى أبعاد سلبية من الدلالة والمصطلح في هذه الإشارة السلبية بدأ من دلالة كانت أقرب إلى الترجمة التي قصد بها أداء معنى لا يفارق دلالة التعصب والتطرف والتقليد والاتباع، والفهم الجامد لنصوص أولية بوصفها مبادىء مطلقة، لا يمكن الخروج عليها أو تعديلها أو مراجعتها أو وضعها موضع المساءلة»[(٢)].

«حرية الفكر» أو «الحرية الفكرية» والحرية والأحرار أو أحرار الفكر هي ترجمة للكلمات الإنجليزية (Liberalisn Free ،Liberals ،Thinke rs).

---

(١) «جرثومة التخلف»: ص: (١٨٠).

(٢) «أنوار العقل»: ص: (١٣٧).

وهي كلمات اصطلاحية، يراد بها إطلاق الفكر من كل قيد، ومن العقائد الدينية على وجه الخصوص[١].

«والحرية»: اسم جميل براق محبب إلى القلوب في كل أشكاله وألوانه، ولكن المقصود به هنا هو حماية الآراء التي تخدم الأفكار الدخيلة المعارضة لما تواضع عليه الناس من آراء، وما استقر في مجتمعهم من نظم»[٢].

«وهذه الحرية الفكرية التي لا تلتزم فيها الدولة بحماية النظم الدينية في جانبيها الفكري والسلوكي، ولا تتقيد بها هي ما يسمونه أحيانا بالتقدمية، وذلك في مقابل الرجعية التي تدعوا إلى أن تلتزم الدولة بحماية النظم الدينية، وتقيد نفسها بها، وهي ما يسمونه في أحيان أخرى المدنية أو العلمانية، فيقولون «حكومة مدنية وعلمانية» في مقابل «حكومة دينية»[٣].

---

(١) انظر «الإسلام والحضارة الغربية» لمحمد محمد حسين: ص: (٦٩).

(٢) المرجع السابق ص: (١١٦).

(٣) المرجع السابق ص: (١١٧).

«وهكذا قد تتداخل الاصطلاحات أو تلتقي ولكنها مؤداها شيء واحد وهو اللادينية».

«ويمكن أن نقول إن **التقدمية والرجعية** من الاصطلاحات المرنة في هذه الأيام التي لا تتفق عليها وجهات النظر المختلفة باختلاف المذاهب والنظريات السياسية والاجتماعية، ولكن من الواضح أن التقدمية هي ما يوافق الحضارة الغربية، والرجعية هي ما يتمسك بالتراث الإسلامي»[(١)].

وهكذا تجدُ مصطلحاتهم مقتضبة وتعريفاتهم غامضة ومؤداها محاربة سلطان الدين وتمجيد العقل وتقديمه على الشرع ووصف الدين بالتخلف والجمود والتقاليد الباليه إلى غير ذلك.

وينادون بالتنوير والتحرر وحرية الإبداع، وحرية الفكر، وخلاصة دعواتهم التحررية هي التحرر من العبودية لَجبار السموات والأرض وتحكيم الآراء الكاسدة والخضوع للنظريات الباطلة الفاسدة.

---

(١) «الإسلام والحضارة الغربية»: ص: (١٢١).

انتشار كثير من الألفاظ والكلمات المخالفة للتوحيد

من الألفاظ والكلمات المنتشرة على الألسنة وهي مخالفة للتوحيد **«الدين لله والوطن للجميع»** وهي خطة شركية ابتدعها أهل أوربا للهروب من حكم الكنيسة الظالم المحارب للعلم؛ ثم أرادوا بها إبعاد أهل الإسلام عن دينهم، فكأنهم قالوا: **«الدين لله يطرح ظهريا»**، ليس له حق في شؤننا الوطنية من سياسة وعلم واقتصاد وغيره.

فالمستعمرون قصدوا بهذه الكلمة المزوقة البدعية إفكًا وتضليلًا ليبعدوا حكم الله ويفصلوه عن جميع القضايا والشئون بحجة الوطن الذي جعلوه ندا لله، وفصلوا بسببه الدين عن الدولة، وقد أمرنا القرآن بعدم طاعتهم في مثل هذا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران:١٤٩] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾

وهذه الدعوة فتحت الأبواب للدعاية للمذاهب والعقائد الباطلة وبث الإلحاد على حساب المسلمين وفي عقر بيوتهم وأخرت دعوة الإسلام، وأوقفت زحفه إرضاءً لأقلية فاسدة انتحلوا هذه النحلة أو تلك فإذا ما رفضها المسلم قالوا: «فتنة طائفية»!![1].

«الدين سبب الطائفية والشقاق» قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «كلمة شيوعية توجب الردة»[2] اهـ. والدين الإسلامي الصحيح مصدر الوحدة الصحيحة وتحقيقه يسبب العز والتمكين والتضامن والتراحم والبذل والإيثار وحماية غير المسلمين وأي طائفية في دين يقول لأهله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤][3].

(١) «الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة» للشيخ عبد الرحمن الدوسري -بتصرف. وانظر «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد (١٦٤).

(٢) «معجم المناهي اللفظية»: (١٦٤).

(٣) «الأجوبة المفيدة لمهمات لعقيدة».

ومنها قولهم: **«الدين أفيون الشعوب»** هي مقالة لليهودي «كارل ماركس» الذي نبش الشيوعية المزدكية اليهودية بعدما قبرها الإسلام، فاخترع هذه المقالة يزعم أن الدين مخدر ومبلد للشعوب، وهذا قد يصدق على الأديان المزعومة من لاهوتيه وثنية لتقيد أهلها بالخرافات، أما الدين الصحيح الحنيف ملة إبراهيم الذي أمر الله خلقه بإقامته دين يلهب القلوب والمشاعر، محرك لجميع الأحاسيس والقوى، دافع بها إلى الأمام لا يقبل من أهله الذل والاستكانة والخضوع للظلم، بل يوجب عليهم الجهاد بشتى صوره وأشكاله لإعلاء كلمة الله وقمع المفتري عليه والبراءة ممن جانب دينه وتنكر لحكم شريعته[١].

---

(١) المرجع السابق.

انتشار كثير من الدعوات الباطلة المخالفة للتوحيد

إحياء الدعوات القومية المحلية، والعرقية والوطنية مما يجعل الولاء والبراء على تلك القوميات لا على أساس الدين والشرع.

يقول المستشرق الإنجليزي هـ. أ. ر. جب في كتابه «إلى أين يتجه الإسلام»: «وقد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي أندونسيا وفي العراق وفي إيران»[(١)].

وصحب هذه الدعوة نشاط البعوث الأجنبية في التنقيب عن الآثار والدعاية لما يكتشف منها فملئوا الدنيا كلامًا عما ظهر منها وقتذاك في مصر والشام والعراق.

---

(١) ص: (٣٤٢) ط لندن ١٩٣٢م.

وأخذوا يدعون إلى بعث التاريخ القديم في كل جزء من أجزاء الوطن العربي وهو التاريخ السابق على استعرابها بدخولها في الإسلام واتخاذها لغته.

فأطلت النعرة الفرعونية في مصر، والفينقية في سوريا، والآشورية في العراق، والطورانية في تركيا، وهكذا.

ولقي هذا الاتجاه تشجيعًا -بل تحريضًا- من دول الاستعباد الغربي في كل أجزاء الوطن العربي، بل في كل بلاد المسلمين، وكان هدفهم من ذلك واضحًا، وهو تدعيم سياسة التجزئة التي نفذوها حين قطعوا أوصال العرب، وذلك بتلوين الحياة المحلية في كل بلد من هذه البلاد بلون خاص يستند في مقوماته إلى أصوله الجاهلية الأولى، وبذلك تعود هذه البلاد التي توحدت منذ استعربت إلى مظاهر الفرقة والانشعاب التي سبقت ذلك التاريخ، فيستريح المستغلون من احتمال تكتلها الذي يؤدى إلى تحررها، ثم تكون هذه المدنيات الجديدة أكثر قبولًا لأصول المدنيات الغربية ويصبح كل شعب من هذه الشعوب أطوع لما يراد حمله عليه وزجه فيه من الصداقات ومناطق النفوذ

بعد أن تتفكك عرى الأخوة العربية والإسلامية[١].

«القومية العربية»: «وقد اختلف الدعاة إليها في عناصرها فمن قائل إنها الوطن، والنسب، واللغة العربية، ومن قائل إنها اللغة فقط، ومن قائل غير ذلك، أما الدين فليس من عناصرها عند أساطينهم والصرحاء منهم، وقد صرح بعضهم بأن الدين لا دخل له في القومية...

ومن خَبِر أحوال القوميين وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية أمور يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور:

فصل الدين عن الدولة وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع، والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة، لا بلغهم الله مناهم.

(١) «الإسلام والحضارة الغربية»: ص: (٢٣٦-٢٣٧) بتصرف.

ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طربًا، ويساعد على وجودها ورفع مستواها- وإن تظاهر بخلاف ذلك- تغريرًا للعرب عن دينهم، وتشجيعا لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم..

واعلم أن هذه الدعوة أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول وأنواع من الخيال، وأساليب من الخداع فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام، واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات، دعوة باطلة، وخطأ عظيم ومنكرٌ ظاهر وجاهليةٌ نكراء وكيدٌ سافر للإسلام وأهله»[1].

---

(١) من كتاب «نقد القومية العربية» للعلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله من ص: (٨-١٣) بتصرف.

انتشار كثير من الاتجاهات والأفكار المخالفة للتوحيد

من الاتجاهات: «الاتجاه العقلاني» «اللاديني».

يمكن أن يقال في تعريفها هي: «التفسير العقلاني لكل شيء في الوجود، أو تمرير كل شيء في الوجود من قناة العقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه»(١).

ويمكن أن تعرف أيضا بأنها: «المذهب الفلسفي الذي يرى أن كل ما هو موجود يرد إلى مبادئ عقلية، وخصوصًا الاعتداد بالعقل ضد الدين»(٢).

فالعقلانية في حقيقتها: «إلغاء النص أمام النظر العقلي المجرد -أو الهوى المجرد- الذي يستقبح اليوم ما كان

(١) «مذاهب فكرية معاصرة» -لمحمد قطب: ص: (٥٠).

(٢) «معجم المصطلحات العلمية»: يوسف الخياط.

حسنًا بالأمس، ويستقبح في وقتٍ ما كان حسنًا عنده في وقتٍ سابق»[١].

والذي يستمع للفظة «عقلانية» ولا يدري حقيقة الأمر يقول ومالكم تحاربون العقل وتذمونه، ونحن نقول إننا لا نذم العقل، ولا نحقر من شأنه ولكن نطالب بإنزاله منزلته الصحيحة مع شرع الله ﷻ.

والذي يسمع لفظة «العقلانية» لأول وهلة يظن أنها نهج سديد، لتمسحها بلفظة شريفة، ولكن هكذا أهل الباطل يكسون مذاهبهم ألفاظًا براقة لامعة ليجذبوا الرعاع إلى أقوالهم، ويسمون الأشياء بغير اسمها ظنا منهم أن في ذلك تسويغًا لباطلهم، ولكنه بريق سرعان ما يزول وينطفيء أمام حجج الشرع الساطعة وبراهينه القاطعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا مكانة العقل وفضله ومنزلته الحقيقية:

«العقل شرطٌ في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال،

(١) «في فقه الواقع» عبد السلام بسيوني ص: (٢٩).

ويه يكمل العلمُ والعمل، ولكنه ليس مستقلًا بذلك، لكونه غريزة في النفس، وقوة فيها، فهو بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يَعجزُ وحده عن دَرْكها. وإن عُزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه: أمورًا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد، وذوق كما يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة والأحوال المخالفة للعقل باطلة والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دَرْكه، لم تأت بما يُعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء، وجوازها، وامتناعها، لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقًا وهي باطلة وعارضوا بها النبوات»[١]

«وقد يفهم البعض من ذمنا لتقديم العقل على النقل ذم العقل بإطلاق، فليس معنى ترتيب منزلة العقل وجعلها بعد

---

(١) «مجموع الفتاوى»: (٣/ ٣٣٨-٣٣٩).

النقل إلقاء العقل جانبًا . . . لأن البحث العقلي ليس مذمومًا على الإطلاق بل يُذم إذا اكتُفي به عن الأدلة الشرعية، أو قدم عليها، أو عورض به نصوص الدين.

كما أنه لا دخل للعقل في مجال الغيب السمعيات التفصيلية من أمور العقيدة؛ لأن المجال مجال تسليم واستسلام.

أما أبحاث العقيدة التي يستدل بها على وحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وحكمته والبعث والجزاء، فقد طالب القرآن العقل البشري أن يهتدي إليها فهي أدلة تدعم النصوص وتزيد في تثبيت الاعتقاد، ولهذا يجد المتأمل في كتاب الله تعالى الآيات الكثيرات، التي تحث العقل البشري على التأمل والتفكر والتبصر والتدبر.

إن فتح المجال أمام العقل البشري لينطلق في مجالات الكون فيذلل الصعاب، ويرشد الإنسان إلى طرق الحضارة مما يعود على البشرية بالخير العميم، أمرٌ حسنٌ وجميل بل هو طريقه الطبيعي ومساره الاعتيادي.

أما أن يسمح للعقل أن يتدخل في مجالات الغيب ويلاقي منا كل تشجيع واستحسان فهذا خطأ فادح وحماقة كبرى ترتكب في حق حاضر الإنسان ومستقبله وإهانة صريحة للعقل بتوريطه بالانزلاق في مسارب لا دخل له بها، بل هي بعيدةٌ جدًا عن مطلبه ومُحالٌ أمام تصوره.

لقد ابتدأ المعتزلة هذه المهزلة، حيث جعلوا العقل هو الحكم والفيصل، وأسندوا إليه مهمة الكشف في عالم الغيب وملكوت الآخرة.

وتدخل العقل باحثًا في خصائص اليوم الآخر، فأثبت ما أراد، ونفي ما شاء، واعتدى على مقام الألوهية العظيمة، فتناول صفات الله تعالى بالتبديل والتحوير، والطمس والتزوير، منتهكًا حرمة النصوص، غير مبالٍ ولا ملتفت لأي وعيد أوعقاب، فتناقض أيما تناقض، ونفى عن الذات الإلهية صفات أثبتها الله لنفسه، زعم أنها أوصاف للأجسام ونعوت للمخلوقات.

إن العقل البشري قاصرٌ كل القصور في عالم الغيب ونتائجه وتوقعاته كلها تخرصاتٌ سكرى وظنون بلهاء.

إن العقل إذا لم ينطلق من وحي النصوص المعصومة فإنه سرعان ما يُخطيء، ولما كان من مهام العقيدة تنظيم سلوك الإنسان، فإن نتائجه آنذاك تكون خطيرة وتسبب اختلافًا بين الناس، وهل يتعارض الناس ويختلفون في أمور الدين إلا بسبب استخدام عقولهم بمعزل عن نصوص الكتاب والسنة.

إن العقل مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالى شأنه كشأنها، له قدراته المحدودة، وخصائصه الثابتة، فهل يطلب من العين أن تبصر ما يبعد عنها الآف الأميال؟

وهل يطلب من الأذن أن تسمع ما يدور بين الطيور في السماء من مناجاة؟

وهل يطلب من اليد أن تحمل جَبلًا؟

ومن القدم أن تزعزع بركلة منها ناطحة سحاب؟

أو غير ذلك من الأمور المغرقة في المحال، وكذلك الشأن نفسه بالنسبة للعقل البشري، عندما يتعرض لمسائل الغيب فيثبت وينفي.

نعم إنه يباح للعقل أن يتعرف على المخلوقات لأنه مخلوق مثلها، أما أن يتطاول هذا المخلوق المغرور ليتدخل في مهام الخالق العظيم، ويُنصِّبَ نفسه الحكم العدل الذي لا يُرجَعُ عن حُكمه، ولا يُعترضُ على قراره فتلك بلية البلايا وأعجوبة الأساطير، فهل يقع الإنسان في ضلال أبعد من هذا الضلال؟»[١].

وقد عظم المعتزلة قديمًا مكانة العقل وجعلوه حاكمًا على النقل لا محكومًا، فقد آمن المعتزلة بالعقل، ورفعوا شأنه، ونوهوا به أيما تنويه، وصدعوا بمبادئه.

قال القاضي عبد الجبار في «فضل الاعتزال» عند سرده الأدلة الشرعية حسب ترتيبه: «أولها العقل»[٢].

ويقول الزمخشري المعتزلي في «تفسير الكشاف»: مفسرًا قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال: «... يحتاج إليه في الدين، لأن القانون الذي تستند إليه السنة

(١) «علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين» -لرضا معطي ص: (٣١-٣٢).

(٢) «فضل الاعتزال»: ص: (١٣٩).

والإجماع والقياس بعد أدلة العقل»[١]. فجعل أدلة العقل هي الأساس.

ويقول الجاحظ وهو من مشاهير المعتزلة: «فما الحكم القاطع إلا للذهن وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل»[٢].

«ولقد التقى هذا التيار المعظم للعقل الذي دخل على أمة الإسلام من علوم اليونان العقلية التي اهتم بها المعتزلة وترجموها إلى العربية وأقبلوا عليها يستلهمونها، وأعلام يونان يترسمون خُطاهم، وينسجون على منوالهم، وعلى كتب يونان يتفهمونها ويهضمونها فحكموا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع»[٣].

فالتقى هذا التيار المعظم للعقل المتأثر بفلسفة اليونان في عصرنا الحديث مع أدعياء العقلانية المسترون بشعارات التجديد والتنوير.

---

(١) «رسائل الجاحظ»: ص: (١٩١).

(٢) «رسائل الجاحظ»: ص: (١٩١).

(٣) «منهج المدرسة العقلية الحديثة» لفهد الرومي: ص: (٥٤) بتصرف.

وقد أذكى المستشرقون المخربون في كيان الأمة الإسلامية النزعة العقلية في الدراسات كلها فضلًا عن الدراسات العقدية.

«إذ أن الاستعمار الصليبي والصهيوني، فَشِلَ حين فَرَضَ العَلمانية بجنوده؛ فقد أحس المسلمون به، فتحصنوا منه.

وحين فرض العلمانية بعملائه الذين رباهم في مدارسه، وربطهم بفلكه، واستعبدهم بالجاه والمال؛ رفض المسلمون ذلك، فما استطاعوا أن يصلوا إلى قلوبهم.

والمحاولة اليوم خطرةٌ حقًا، فإن العلمانية تُفرضُ بحقٍّ يدَّعي لنفسه العَمل للإسلام، ويَنسِب إلى نفسه الريادة، ويَصف حرَكته بالبَعث، ويُهيأ له المناخ ليكون إمامًا، ولتكون دعوته نهضة.

وهي في حقيقتها عَلمانية..... أو عصرية..... أو تغريب..... أو ما شئت من الأسماء»[1].

(١) «العصريون: معتزلة اليوم» ليوسف كمال: ص: (٧٦).

فخرج في بلادنا الإسلامية نبتٌ شيطاني خبيث نبت في تربة الاعتزال القديم وسقي بماء الاستشراق المادي الحديث.

فكانت الثمار أمشاجٌ فكرية مختلطة، لا ضابط لها، ولا رابط بينها، منتهاها النخرُ في معتقد أهل الإسلام وإليك بعض أقوالهم ليُحْذر منها ويُحَذَّر، ويُنظر فيما يؤخذ عن قائليها ويُتوقف.

يقول قائلهم: «اتفق أهل الملل الإسلامية -إلا قليلًا ممن لا يُنظرُ إليه -على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل»[(١)].

ويقول آخر: «لقد انقضت المعتزلة كفرقة، ولكنها استمرت نزعة عقلية وفكرًا قوميًا، وأصولًا فكرية، من خلال فرقٍ أخرى تأثرت بها، ومن خلال البصمات التي طبعتها على المجرى العام الخالد والمتدفق والمتطور لفكر الغرب والمسلمين».

(١) «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده: ص: (٥٩).

ثم قال: «وهكذا كان المعتزلة: كوكبة من أهل الفكر والنظر والدين والثورة اتخذوا من الفلسفة والفكر والرقي في المعرفة بدلًا عن الأحساب والأنساب».

ثم أخذ يتحدث عن نظريته التي يدعوا إليها وطريقته التي يمشي عليها إنها «تعلي من شأن العقل، وتجعله معيارًا وميزانًا، حتى بالنسبة للنصوص والمأثورات حتى لنستطيع أن نقول: إن موقفها من العقل والفلسفة يجعلها الامتداد المتطور لمدرسة المعتزلة، فُرسان العقلانية في تراثنا القديم»(١).

ويقول آخر من غلاة العقلانية: «إن البشرية لم تعد في حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء فلقد بلغت سن الرشد، وآن لها أن تباشر شؤنها بنفسها»(٢).

---

(١) من كلام الدكتور محمد عمارة في كتابه «تيارات الفكر الإسلامي»: ص: (٨٧-٨٨).

(٢) من كلام محمد أحمد خلف الله في كتابه «العدل الإسلامي» نقلاً عن كتاب «غزو من الداخل» لجمال سلطان: ص: (٥١).

ويقول: «فلقد حرر الإسلام العقل البشري من سُلطان النبوة من حيث إعلانه إنهاءها كُليةً، وتخليص البشرية منها»(١).

ويقول آخر من أحلاس هذه المدرسة: «أما المصدر الذي يتعين علينا أن نعيد إليه اعتباره كأصل له فهو العقل...»(٢).

وقال أيضًا: «أنا لا أناقش الحديث من حيث سنده وإنما أراه يتعارض مع العقل، ويُقدم العقلُ على النقل عند التعارض»(٣).

هذه بعض أقوال أولئك المفتونين المعاصرين المقدمين للعقل على النقل الذين رضعوا لبان الفكر الغربي الحديث ونشئوا في قلب بلاد الإسلام الذبيح، مع تفاوتٍ في شططهم واختلاف أقدارهم وعقولهم وأغراضهم.

---

(١) «الأسس القرآنية للتقدم» - لخلف الله: ص:(٤٤).

(٢) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن الترابي: ص: (٢٦).

(٣) نقلاً عن «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور زين العابدين: ص:(٣٠٨).

«فعجبًا للعصريين في هذا العصر، إنهم مصرون على أن يضعوا الإسلام في ذمة التاريخ، على رفوف التراث، يشار إليه ولا يعمل به، فالإسلام يصبح اسمًا لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر؛ أيًا كان إيمانه، فيندرج تحته الصهيونيون والصليبيون في صور تجعل إرسال الرسل بالبيان الحق المنهج الصواب عبثًا»[1].

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: «ومآلهم في تلك الأقيسة العقلية إلى السفسطة التي هي جحود الحقائق الموجودة بالتمويه والتلبيس، ومآلهم في تلك التأويلات إلى القرمطة، التي هي تحريفُ الكلم عن مواضعه وإفساد الشَرع واللغة والعقل، بالتمويه التلبيس»[2].

(١) «العصريون معتزلة اليوم»: ص: (١١٥-١١٦).
(٢) «بيان تلبيس الجهمية»: (١/ ١٥٠).

انتشار كثير من النظريات المضادة للتوحيد

وهي كثيرة ونمثل لها بـ «الداروينية».

في سنة (١٨٥٩م) نشر الباحث الإنجليزي «تشارلز داروين» كتابه «أصل الأنواع»، فأحدث ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوربي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الحسبان.

والغرض الذي يدور حوله الكتاب هو افتراض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد، وتدرجها من الأحط إلى الأرقى، وأن الفروق الخلقية داخل النوع الواحد تنتج أنواعًا جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة، ولذلك يفترض داروين أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائنٌ حقير ذو خلية واحدة.

وحسب قانون «الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب» نمت الأنواع التي استطاعت التكيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة

الكوارث المفاجئة، وتدرجت في سلم الرقي في حين هلكت الأنواع التي لم يخالها الحظ في ذلك.

وعلة ذلك أن الطبيعة -حسب تعبير داروين- وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة، وقد أدى ذلك إلى تحسن نوعي مستمر نتج عنه أنواع جديدة راقية كالقردة ونوع أرقى هو الإنسان، أما البعض الآخر فقد حرمته الطبيعة من ذلك فتعثر وسقط، والطبيعة إذ تَهب هذا وتحرم ذاك لا تنتهج خطة مرسومة، بل تخبط خبط عشواء -على حد قوله- كما أن خط التطور ذاته متعرج ومضطرب لا يسير على قاعدة منطقية مطردة.

ذلك بإيجاز شديد هو لب النظرية التي طلع بها داروين في ذلك الكتاب وهي في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة[1].

---

(١) «العلمانية» - للشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ص: (١٧٨-١٧٩).

«وهكذا بدأت الداروينية سنة ١٨٥٩م، وانتشرت في أوربا، وانتقلت بعدها إلى جميع بقاع العالم، وما تزال هذه النظرية تدرس في كثير من الجامعات العالمية، كما أنها قد وجدت أتباعًا لها في العالم الإسلامي بين الذين تربوا تربية غربية، ودرسوا في جامعات أوربية وأمريكية»[١].

وللأسف الشديد فقد تأثر ببعض أفكارها بعضًا من المنتسبين إلى الإسلام وينعتون أنفسهم بمفكرين إسلاميين، وإن لم يتبنوها برمتها ولكن أصابهم دخانها.

من آثار الداروينية:

- سيطرت الأفكار المادية على عقول الطبقة المثقفة وأوحت كذلك بمادية الإنسان وخضوعه لقوانين المادة.

- تخلت جموع غفيرة من الناس عن إيمانها بالله تخليا تامًا أو شبه تام.

- عبادة الطبيعة، فقد قال داروين: «الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق».

(١) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»: ص: (٢١٧).

وقال: «إن تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت».

- لم يعد هناك جدوى من البحث في الغاية والهدف من وجود الإنسان لأن داروين قد جعل بين الإنسان والقرد نسبًا بل زعم أن الجد الحقيقي للإنسان هو خلية صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين.

- طغت على الحياة فوضى عقائدية.

- كانت نظرية داروين إيذانا وتمهيدًا لميلاد نظرية فرويد في التحليل النفسي، وميلاد نظرية برجسون في الروحية الحديثة، وميلاد نظرية سارتر في الوجودية، وميلاد نظرية ماركس في المادية. وقد استفادت هذه النظريات جميعًا من الأساس الذي وضعه داروين واعتمدت عليه في منطلقاتها وتفسيراتها للإنسان والحياة والسلوك.

نظرية التطور البيولوجية انتقلت لتكون فكرة فلسفية داعية إلى التطور المطلق في كل شيء تطور لا غاية له ولا حدود، وانعكس ذلك على الدين والقيم والتقاليد، وساد الاعتقاد

بأن كل عقيدة أو نظام أو خُلق هو أفضل وأكمل من غيره ما دام تاليًا له في الوجود الزمني[١].

للأسف الشديد فإن هذه النظرية تدرس في مدارس المسلمين للناشئة هكذا دون انتقاد لها ودون تفنيد وإنما تدرس ولها كل احترام وهيبة وتبجيل فكيف تكون الآثار النفسية على دارس هذه النظرية لا سيما الناشئة الصغار الذين هم في دور التكوين الفكري والعقدي والثقافي.

---

(١) «الموسوعة الميسرة»: ص: (٢١٣-٢١٤).

انتشار كثير من الجمعيات والمنظمات المضادة للتوحيد

ومن أمثلة ذلك «الماسونية»: وهي منظمة سرية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان السيطرة على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد.

من أفكارهم ومعتقداتهم:

-يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات.

- يعملون على تقويض الأديان.

- إباحة الجنس واستعمال المرأة كوسيلة للسيطرة.

- تهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد[١].

(١) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»: ص: (٤٤٩-٤٥١).

ومنها: **«الليونز»**: وهي مجموعة نواد ذات طابع خيري اجتماعي في الظاهر، لكنها لا تعدوا أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التي تديرها أصابع خفية بغية وإحكام السيطرة على العالم.

ومن أفكارهم:

- الدعوة إلى الإخاء والحرية والمساواة.

- تنمية روح الصداقة بين الأفراد بعيدًا عن الروابط الدينية.

- يرددون دائمًا شعار «الدين لله والوطن للجميع».

- الإسلام لديهم يقف على قدم المساواة مع الديانات الأخرى سماوية كانت أم بشرية هذا من حيث الظاهر، أما الحقيقة فإنهم يكيدون له أكثر مما يكيدون لسواه.

ومنها: **«الروتاري»** منظمة تعرف باسم «نادي الروتاري».

من أفكارهم:

- عدم اعتبار «الدين» مسألة ذات قيمة لا في اختيار العضو، ولا في العلاقة بين الأعضاء، ولا يوجد أي اعتبار لمسألة الوطن.

- إسقاط اعتبار «الدين» يوفر الحماية لليهود ويسهل تغلغلهم في الأنشطة الحياتية كافة.

- هناك تشابه كبير بين الماسونية والروتاري في مسألة «الدين والوطن».

- القيم والروح التي يُصبَغ بها الفرد واحدة في الماسونية والروتاري مثل فكرة المساواة والإخاء والروح الإنسانية والتعاون العالمي، وهذه روح خطيرة تهدف إلى إذابة الفوارق بين الأمم، وتفتيت جميع أنواع الولاءات، حتى يصبح الناس أفرادًا ضائعين تائهين، ولا تبقى قوة متماسكة إلا اليهود الذين يريدون السيطرة على العالم.

- تتظاهر بالعمل الإنساني من أجل تحسين الصلات بين مختلف الطوائف وتتظاهر بأنها تحصر نشاطها في المسائل

الاجتماعية والثقافية وتحقق أهدافها عن طريق الحفلات الدورية والمحاضرات والندوات التي تدعو إلى التقارب بين الأديان.

- أما الغرض الحقيقي وهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى باسم الود والإخاء وعن طريق ذلك يصلون إلى جمع المعلومات التي تساعدهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والسياسية وتساعدهم على نشر عادات معينة تعين على التفسخ الاجتماعي(١).

* * *

(١) «الموسوعة الميسرة»: ص: (٢٤٣-٢٤٦).

أما بعد

بعد كل هذا عسى أن يكون قد استبان لك أخي . . . أختي لماذا كل هذا الاهتمام بالتوحيد ولماذا ننادي بأن يكون التوحيد من أوليات اهتماماتنا .

إن الأمر جد خطير، فقد عمد الشيطان وملل الباطل إلى إفساد توحيدنا وديننا على مختلف الأصعدة وفي مختلف المجالات في التعليم وفي التربية وفي الأقوال، والأفعال، والاعتقادات .

مع نشاط أهل الباطل في باطلهم وتزينهم ودعمهم لذلك الباطل بمختلف الوسائل والأساليب، توقف واسأل نفسك ماذا قدمت في سبيل التوحيد، ماذا قدمت في سبيل دين الله .

وفي القسم التالي من هذه السلسلة : الذي عنونته بـ «كيف نهتم بالتوحيد» عدد من الوسائل المقترحة في سبيل الاهتمام

بالتوحيد، وأنت تملك الكثير من تلك الوسائل، فلا تبخلن على دينك وتوحيدك وإسلامك وعقيدتك.

فإننا بين يدي الله غدًا موقوفون، وسائلنا عن كل صغيرٍ وكبير، وأي شيء أكبر وأعظم من التوحيد، فأعد للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا؛ فإن غدًا إما الجنة، وإما النار . . .

وكأني بك قد استبان لك الخطر الداهم على عقيدة التوحيد، وبعض المخططات التي ترادُ بأهله، فهل من نصرة لعقيدة التوحيد وهل من همة للذب عنها والذود عن حياضها.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره - بكر أبو زيد.
- الاتجاهات الوطنية - محمد محمد حسين.
- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة - عبد الرحمن الدوسري.
- الإسلام والحضارة الغربية - محمد محمد حسين.
- الإيمان - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.
- تيسير العزيز الحميد - لسليمان بن عبد الله.
- تفسير السعدي - عبد الرحمن السعدي.
- تفسير ابن كثير - أبو الفداء بن كثير.
- التوحيد أولًا - ناصر العمر.
- الحداثة - عبد العظيم المطعني.
- علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين- رضا معطي.

- مجموع الفتاوى - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

- مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية.

- معجم المناهي اللفظية - بكر أبو زيد.

- منهاج السنة - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية.

- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير - فهد الرومي.

- شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي.

- نقد القومية العربية - عبد العزيز بن باز.

- نواقض الإيمان القولية والعملية - عبد العزيز عبد اللطيف.



فهرس الموضوعات

* * *

سلسلة التوحيد أولاً

☆ ماذا تعرف عن التوحيد

☆ لماذا التوحيد

☆ كيف نهتم بالتوحيد

☆ التعريف ببعض كتب التوحيد

☆ من دعاة التوحيد

☆ أمور تخالف التوحيد

☆ ماذا بعد التوحيد

* * *

صدر للمؤلف

- رسول الإسلام محمد خاتم الأنبياء والمرسلين.
- القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد.
- القاموس الفريد في العقيدة والتوحيد.
- ١٠٠٠ سؤال وجواب في العقيدة.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بين الإفراط والتفريط.
- شبهات حول الحجاب.
- قصة إسلام «يحتوي على قصص واقعية لكثير ممن دخلوا في الإسلام قديمًا وحديثًا».
- تقوية الإيمان وتثبيت الموحدين.
- النجاة من الفتن.

* * *